(١)

## حماية الأوطان بين
## فرض العين وفرض الكفاية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعـــد** :

فإن من واجب الوقت وفقه الأولويات ما يحتم على جميع أبناء الوطن المخلصين المدركين لطبيعة المرحلة ، وحجم التحديات التي تتعرض لها البلاد أن يقفوا جميعًا صفًّا واحدًا للدفاع عن الوطن ، وحمايته من أي عدوان ، كيف لا؟ وحبُّ الأوطان والولاءُ لها طبيعةٌ فطريةٌ ، وشعورٌ غريزيٌ ، فالانتماءُ إلى الوطن نعمة من أجل نعم الله علينا ، فالوطن هو مهد الإنسان ومرتع صباه ، فيه ولد ونشأ ، وعلى أرضه تربّى، ومن خيره ترعرع وكبر ، وإذا أردتم أن تعرفوا قيمة الوطن فاسألوا من فقد وطنه عن ذلك .

إن المتأمل في جوهر الرسالات السماوية ليلحظ بوضوح أنها جاءت داعية إلى حب الأوطان وجعلته فريضة دينية، فها هو نبي الله إبراهيم (عليه السلام) يطلب في دعائه الأمن لأهله ووطنه ، فيقول كما يقصّ علينا القرآن الكريم:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، ويوم أن أُخرِج النبيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من وطنه، وقف بالحزورة (تل مشرف على مكة) وهو على ناقته، يقول: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)، وعندما استقر (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في

المدينة تضرع إلى الله داعيًا : (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا)، فدعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) لنفسه ولأصحابه بحب المدينة ، والمباركة في مدّها وصاعها يعلمنا حبَّ الأوطان ، وقيمة الانتماء إليها.

وكما أن حبّ الأوطان فريضةٌ دينيةٌ فكذلك حمايتها والدفاع عنها فريضة دينية، وواجبٌ وطنيٌ، ولا أدلّ على ذلك مما قام به النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من إبرام وثيقة المدينة بينه وبين الطوائف المختلفة التي كانت تسكن المدينة بهدف حمايتها والدفاع عنها ، وتُعرف تلك الوثيقة بمعاهدة الدفاع المشترك ، بل إن الجهاد في الإسلام ما شرع إلا لردّ الظلم والعدوان ، وحماية الأوطان والأعراض والمقدسات، فالحرب ليست غاية ولا هدفًا في الإسلام ، وأن التضحية بالنفس والمال دفاعًا عن الأوطان وحرماتها ومقدساتها، ونصرتها هو من صميم الجهاد في سبيل الله ؛ لذا فقد أعلى الله (عز وجل) من شأن من يبذلون أرواحهم في سبيل الله دفاعًا عن أوطانهم، فقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}.

إن حماية الوطن، والدفاع عنه، والحفاظ على أمنه واستقراره ضد قوى الشر منهج نبوي أصيل ، قام به النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بنفسه ، وربّى عليه أصحابه، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ

يَقُولُ : (لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا) وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ ، فَقَالَ : (لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا).

والمتدبر في سيرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أن جميع الغزوات التي شارك فيها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كانت دفاعًا عن الوطن وردًّا لعدوان أعدائه ، ففي غزوة أحد أراد المشركون أن يستبيحوا حرمة المدينة، وأن يعتدوا على المسلمين في وطنهم، فخرج إليهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه ، ردًّا للعدوان ، ودفاعًا عن الأرض والوطن .

وفي غزوة الخندق اجتمعت الأحزاب من كل حدبٍ وصوبٍ لحصار المدينة والإغارة عليها ، فكان القتال دفاعًا عن النفس، والوطن، والعرض، وهو ما يصوره الحق سبحانه وتعالى بقوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا *هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}.

وفي غزوة دومة الجندل كانت قبائل المشركين بدومة الجندل تعدّ لاستهداف قوافل المسلمين بالمدينة ، وفي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ كانت قبائلهم تعد للهجوم على المدينة فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم ردًّا لبغيهم وعدوانهم، وفي غزوة خيبر كان أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضدالمسلمين ، وحرضوا بني قريظة على الغدر والخيانة ، ثم أخذوا في الاتصال بالمنافقين وبقبائل غطفان وأعراب البادية لتأليبهم على المسلمين ، وكانوا هم أنفسهم يستعدون لقتال النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته، فكان لابد من مواجهتهم وكفّ شرهم .

على أنه ينبغي أن نعلم أن حماية الأوطان والدفاع عنها ، إما أن يكون فرض عين وإما أن يكون فرض كفاية ، ففي أوقات الأمن والاستقرار والطمأنينة يكون الدفاع عن الأوطان واستقرارها وسلامتها فرض كفاية ، فتقوم القوة المتمثلة في رجال الجيش والشرطة البواسل بالدفاع عن الوطن وتأمينه ، ويجب على الناس أن يؤمنوا احتياجات الجيش والشرطة ، وأن يقدموا لهم الدعم المادي والمعنوي ، إسهامًا منهم في حماية الوطن والدفاع عنه ، أما في اللحظات الصعبة والحرجة التي تتعرض لها الأوطان بالفعل لمحاولات احتلال ، أو غزو ، أو عدوان ، أو أي عمليات إرهابية ، فإن الأمر يتحول من فرض الكفاية إلى فرض العين ، أي أنه يجب على كل أبناء الوطن أن يكونوا على أهبة الاستعداد، فمن استُدعي وجب عليه أن يُلبي، وهو ما يسمى في العسكرية الحديثة بالتعبئة العامة ، حيث يكون الجميع على استعداد في أي وقت لتلبية نداء الواجب الوطني .

وكذلك تقديم كل أنواع الدعم والمساندة لأفراد القوات المسلحة والشرطة في التصدي لمن يستهدفون ، أو يهددون أمن الوطن واستقراره ، وهو صورة من صور التعاون التي أمرنا الله تعالى بها ، حيث قال : {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، والدعم إما أن يكون دعمًا مباشرًا ، بالنفس والمال ، وإما أن يكون دعمًا غير مباشر ، بالكلمة الطيبة ، والدعاء الذي هو سلاح المؤمن ، وأعظم جند الله ، وإشاعة روح التضحية والفداء ، وقيام كل إنسان بدوره ، ومسئوليته التي كلفه الله تعالى بها ، مع محاربة كل الشائعات التي تحاول النيل من حماة الوطن، وتصيب المواطنين باليأس والإحباط .

وقد فَقِهَ الصحابة (رضي الله عنهم) ذلك فقدموا كلّ غالٍ ونفيسٍ لحماية وطنهم ودولتهم ، فهذا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يتصدق بماله كله في سبيل الله، وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يتصدق بنصف ماله ، فيقول : أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا أن نتصدق ، فوافق ذلك مالًا عندي ، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا ، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قلت: مثلَه، قال: وأتى أبو بكر (رضي الله عنه) بكل ما عنده، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شيء أبدًا .

وهذا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يشتري بئر رومة من يهودي كان يمنع المسلمين من مائه ، ويجعلها عثمان صدقة لله (عز وجل) ، حتى لا تتحكم يهود في مصدر شرب المسلمين ، كما أنه (رضي الله عنه) جهَّز جيش العسرة في غزوة تبوك ، حتى قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ما ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ).

وما دُعي المؤمنون للدفاع عن وطنهم إلا لبّوا نداء الواجب الوطني، فما أحوجنا اليوم إلى استحضار هذه الروح وتجسيدها واقعًا عمليًّا ؛ لتحقيق الانتماء والولاء للوطن؛ وليكون ذلك مثالًا يحتذى به.

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**إخوة الإسلام:**

**إن حماية الأوطان لا تقتصر على مواجهة العدوان ، بل تمتد إلى مناهضة كل فكر متطرف ، أو محاولة لاستقطاب البعض لمصلحة أصحاب الأهواء المشبوهة، وكذلك المحافظة على أسرارها الداخلية ، وعدم التعامل مع أعداء الوطن ، ومن يريدون به السوء ، أو ينفثون سمومهم في أجواء المجتمعات بغيًا وعدوانًا ، فواجب أبناء الوطن أن يكونوا عيونًا ساهرة لحماية أمن الوطن ، وأن يتضامنوا في درء أي خطر يتهددهم ، وأن يتكاتفوا لردع من تسول له نفسه أن يهدد هذا الوطن ، وأن يكونوا يدًا على من سواهم .**

**وإننا من مكاننا هذا نوجه رسالة دعم وتأييد إلى أبناء الوطن الشرفاء من رجال القوات المسلحة والشرطة البواسل، ونقول لهم : لستم وحدكم ، فنحن جميعًا معكم وفي ظهوركم ، وعن أيمانكم وعن شمائلكم صفًّا واحدًا ، فأكثر من مائة مليون مصري من خلفكم ، وكلنا ثقة في وطنيتكم ، وحرصكم على الشهادة حرص غيركم على الحياة ، وقدرتكم على تحقيق النصر- بإذن الله تعالى -.**

**كونوا على يقين بأنكم في قلوبنا ، وبأن النصر حليفكم ؛ لأنكم تدافعون عن قضية عادلة ، وهنيئًا لكم ما وعد به رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المرابطين ، حيث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ( عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، وقال (صَلَّى اللهُ**

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ) .

ولله در شوقي حين قال :

بِلادٌ مـاتَ فِتيَتُها لِتَحيـا **** وَزالُوا دونَ قومِهِمُ لِيَبقوا

كما نؤكد لجميع أبناء الوطن أن الشجاعة لا تدني أجلًا بعيدًا، وأن الجبن لا يطيل أجلًا قد حان وقته ، وكان من نصيحة أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد (رضي الله عنهما): " احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاةُ " وخاض خالد بن الوليد (رضي الله) بعدها الكثير من المعارك ، وبعد حياة طويلة بين قتال في الجاهلية وجهاد في الإسلام نام خالد بن الوليد (رضي الله عنه) على فراش الموت ، فبكى ثم قال: "مَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ ؛ فَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعِيرُ ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبُنَاءِ"، وإنها والله لإحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة .

فلنسأل الله (عز وجل) الشهادة بصدق حتى يبلغنا إياها، قال: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)، فما أجلَّ أن يموت الإنسان فداءً لدينه ووطنه، ودفاعًا عن أرضه وعرضه، فما بالكم إذا كان هذا الوطن مصر التي ذكرها الله (عز وجل) في كتابه، ونوّه بشأنها ومنزلة أهلها رسولُ الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأوصى بها أصحابه الكرام ، فهي محفوظة بحفظ الله ، ومرعية بعينه (عز وجل).

اللهم اجعل مصر آمنة مطمئنة ، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.